مجلة

العلوم الإنسانية المرقب

علمية محكّمة - نصف سنوية

Journal of Human Sciences

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب. ليبيا

Issued by Faculty of Arts - Alkhums - Elmergib University - Libya

تصنيف معامل التأثير العربي 2025م (2.11)

تصنيف معامل ارسيف Arcif 2025م (0.1261)

تصنيف الرقم الدولي (ISSN/3106-0048)

رقم الإيداع القانوني بدار الكتب الوطنية (2021/55)

31

العدد

الحادي

والثلاثون

سبتمبر

2025م

زيارات الرحالة والمستكشفين الاوروبيين لولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر

إعداد: عبد السلام محمد عبد السلام الرخروخ•

الملخص:

تتناول هذه الدراسة رحلات الرحالة والمستكشفين الأوروبيين إلى ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي شكّلت فيها الولاية إحدى أهم البوابات الجغرافية والتجارية نحو أعماق القارة الإفريقية. فقد مثّلت طرابلس الغرب نقطة انطلاق رئيسية باتجاه بلاد السودان، وأسهم موقعها الاستراتيجي في جعلها محورًا للتنافس الأوروبي حول طرق التجارة والمعرفة الجغرافية. ويحلّل البحث مواقف حكّام الولاية من هؤلاء الرحالة؛ حيث أبدى يوسف باشا القره مانلي في البداية ترحيبًا ودعمًا واضحًا لهم، غير أنّ السلطات العثمانية تبنّت لاحقًا موقفًا أكثر حذرًا بعدما أدركت ما تنطوي عليه هذه الرحلات من أطماع استعمارية، كما يعرض البحث أبرز التحديات التي واجهها الرحالة، بدءًا من التنافس بين القوى الأوروبية، مرورًا بالمخاطر الأمنية والقبلية، وصولًا إلى التعصب الديني الذي اضطر بعضهم إلى التخفي وادعاء الإسلام، ويبرز البحث أيضًا نماذج من أبرز الرحالة الذين وثّقوا الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية في المنطقة، مما جعل من كتاباتهم مصادر أساسية لفهم تاريخها.

• محاضر مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة المرقب، abdusalamm425@gmail.com

وفي الختام، تكشف الدراسة عن الدور المحوري لطرابلس الغرب في التاريخ الإفريقي الحديث، وتبرز التداخل بين النشاط الاستكشافي الأوروبي والأطماع الاستعمارية.

الكلمات المفتاحية: طرابلس الغرب، القرن التاسع عشر، الرحالة الأوروبيون، الاستكشاف، الصحراء الكبرى.

Abstract:

This study explores the journeys of European travelers and explorers to the Tripolitania region during the nineteenth century, a period when the province served as one of the most significant geographical and commercial gateways to the interior of the African continent. Tripolitania functioned as a principal departure point toward Sudan, and its strategic location made it a focal hub for European rivalry over trade routes and geographical knowledge. The paper analyzes the attitudes of Tripolitanian rulers toward these travelers: while Yusuf Pasha al-Qaramanli initially welcomed and supported them, the Ottoman authorities later adopted a more cautious approach as they became increasingly aware of the colonial ambitions underlying such expeditions. The research also outlines the major challenges faced by the travelers, ranging from European rivalries and security or tribal threats to religious fanaticism that sometimes compelled them to

disguise themselves as Muslims. Furthermore, the study highlights prominent examples of travelers who documented the political, social, economic, and urban life of the region, rendering their accounts vital sources for understanding its history. Ultimately, the research underscores the pivotal role of Tripolitania in modern African history and sheds light on the intersection between European exploration and colonial ambitions.

Keywords: Tripolitania, nineteenth century, European travelers, exploration, Sahara Desert.

المقدمة:

تُعد ولاية طرابلس الغرب إحدى أبرز الأقاليم في شمال إفريقيا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، لما تمتعت به من موقع جغرافي استراتيجي جعلها حلقة وصل بين البحر المتوسط وبلاد السودان، وقد شكّل هذا الموقع عامل جذب مهما للرحالة والمستكشفين الأوروبيين الذين قصدوا المنطقة لدواعٍ متعددة، تراوحت بين الأهداف العلمية والجغرافية من جهة، والدوافع السياسية والاستعمارية من جهة أخرى، ومع اشتداد التنافس بين القوى الأوروبية، ولا سيما بريطانيا وفرنسا وألمانيا، غدت طرابلس الغرب مركزًا رئيسيًا للبعثات الاستكشافية المتجهة إلى قلب القارة الإفريقية.

وتبرز أهمية دراسة هذه الرحلات في كونها لم تكن مجرد مغامرات فردية، بل ارتبطت بمشاريع سياسية كبرى وأهداف توسعية واضحة،

انعكست آثارها على طبيعة تعامل السلطات المحلية مع الرحالة، وعلى الصورة التي رسمها الأوروبيون عن المنطقة في مؤلفاتهم وتقاريرهم.

ومن هذا المنطلق، يهدف هذا البحث إلي تسليط الضوء على الرحالة والمستكشفين الأوروبيين الذين زاروا طرابلس الغرب أو عبروا منها، انطلاقًا من أنّ ما تركوه من كتب وتقارير ومراسلات، يعد من أهم وأبرز مصادر تاريخ ليبيا الحديث خلال القرن التاسع عشر الميلادي، كما يسعى البحث إلى تحليل مواقف الحكام العثمانيين والقره مانليين من هؤلاء الرحالة، واستجلاء أهم العقبات والصعوبات التي واجهوها، مع تقديم نماذج مختارة من هؤلاء الرحالة الذين تركوا لنا شهادات تاريخية قيمة، ساهمت في رسم ملامح الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في الولاية خلال تلك الحقبة.

أمّا من حيث الحدود المكانية للبحث، فقد شملت ولاية طرابلس الغرب بساحلها وداخلها، في حين تمثل القرن التاسع عشر البعد الزمني للبحث، إذ شهد هذا القرن نشاطًا واسعًا للرحالة الأوروبيين الذين اتخذوا من الولاية منطلقًا نحو مناطق ما وراء الصحراء الإفريقية.

وتتمثل إشكالية البحث في التساؤلات الآتية:

– ما الصعوبات التي واجهت الرحالة الأوروبيين الذين زاروا أو عبروا الولاية؟

– ما موقف حكام ولاية طرابلس الغرب من الرحالة والمستكشفين الأوروبيين؟

وللإجابة عن هذه التساؤلات، اعتمدت على المنهج التاريخي السردي في تتبع الأحداث وتحليل الوقائع، مع توظيف المنهج التحليلي عند الحاجة لتفسير المواقف والنتائج، وقد توزعت الخطوات المنهجية للبحث على أربعة محاور رئيسية، وهي:

المحور الأول: أهمية طرابلس الغرب لدى الرحالة والمستكشفين.

المحور الثاني: موقف حكام طرابلس الغرب من الرحالة والمستكشفين الأوروبيين.

المحور الثالث: الصعوبات التي واجهت الرحالة والمستكشفين الأوروبيين.

المحور الرابع: نماذج من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا أو عبروا ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر.

وخاتمة تلاها ثبت بالمصادر والمراجع.

المحور الأول- أهمية طرابلس الغرب لدى الرحالة والمستكشفين:

تُعد ليبيا بوجه عام، وولاية طرابلس الغرب على وجه الخصوص، ذات أهمية استراتيجية بارزة، نظرًا لموقعها الجغرافي في قلب شمال إفريقيا، وإشرافها على ساحل طويل للبحر الأبيض المتوسّط، الأمر الذي جعلها حلقة وصل رئيسية بين المشرق العربي والمغرب الإسلامي، وتمثّل منطقة طرابلس الغرب، أقصر الطرق وأكثرها يسراً نحو مناطق ما وراء الصحراء الكبرى، حيث تربط في آنٍ واحد موانئ البحر الأبيض المتوسّط بواحات فزّان من جهة، وبلاد السودان من جهة أخرى، ويعود تفرد ليبيا بهذه الميزة إلى امتداد سواحلها لمسافة تقارب خمسمائة كيلومتر جنوباً، مما جعلها

أقرب مناطق الشمال الإفريقي إلى بلاد السودان العربي والأوسط، كما أنّ افتقارها إلى العوائق الطبيعية، بخلاف ما هو موجود في مناطق أخرى كسلسلة جبال الأطلس، أتاح لها أن تكون ممرّاً تجارياً حيوياً[1].

أما المناطق الجنوبية الليبية المتاخمة لحوض تشاد، فكانت تعتمد على الواحات المنتشرة فيها في ممارسة الزراعة والرعي، إلى جانب المبادلات التجارية للسلع المحلية وسلع العبور الإفريقية الواردة من حوض البحر المتوسّط، وقد اضطلعت تلك الواحات بدور محوري في النشاط التجاري بين ليبيا وبلاد السودان، فأصبحت مراكز لتسويق السلع السودانية وتوزيعها على الأسواق العربية والأوروبية[2].

وفي هذا السياق، شجّعت القوى الاستعمارية الأوروبية، في القرن التاسع عشر وما قبله، الرحلات الاستكشافية إلى القارّة الإفريقية تمهيداً لاستعمارها، فتكاثرت البعثات نحو مناطق ما وراء الصحراء، وازداد عدد الرحّالة السّاعين إلي بلوغها تحت شعارات متنوعة، كان من أبرزها ما اتّخذ طابعًا إنسانيًا يتمثل في مكافحة تجارة الرقيق، ومنها ما ارتبط بالكشف الجغرافي للقارّة بحجة نشر الحضارة والرقي، وقد أسهم ذلك في تأسيس الجمعيات الجغرافية الأوروبية المتخصصة في الدراسات الإفريقية، ودعم نشاطها مادياً ومعنوياً، مع توفير كافة احتياجات الرحّالة، وتوثيق نتائج رحلاتهم في تقارير وكتب ودوريات، حتى غدت مؤلفاتهم مصادر ثرية

[1] – أحمد صدقي الدجاني، أحاديث عن تاريخ ليبيا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، دار المصراتي، طرابلس، د.ت، ص 89.

[2] – مصطفى بعيو، دراسات في التاريخ اللوبي، الأسس التاريخية لمستقبل لوبيا، مطابع عابدين، الاسكندرية، 1953م، ص 168.

بالمعلومات عن المناطق التي زاروها من حيث السكان، والمدن، والموارد الطبيعية، والمسالك، والأوضاع السّياسيّة[1].

وباعتبار ليبيا البوابة الرئيسة لمناطق ما وراء الصحراء، وملتقى الطرق المؤدية إليها، وأهمها طريق طرابلس– برنو وتفرعاته، أصبحت نقطة انطلاق رئيسة للرحّالة الأوروبيين وغيرهم، وقد وجدت تلك الرحلات دعماً مباشراً من سلطات ولاية طرابلس الغرب، التي ارتبطت بعلاقات قوية وودية مع حكام كانم، وبرنو، ووداي، وبلاد الهوسا، وكان من المألوف قبل انطلاق أي رحلة أن يتم الإعداد الجيد لها من حيث اختيار الأدلاء والمساعدين، وتحديد موعد تحرك القافلة وخط سيرها والمرافقين لها، فضلاً عن حرص الرحّالة الأجانب على الحصول على توصيات رسمية من الباشا وشخصيات نافذة في الولاية، لتقديمها إلى المسؤولين في بلاد السودان تسهيلاً لمهامهم[2].

وقد فضّل الرحّالة الأوروبيون ليبيا منطلقاً لرحلاتهم لأسباب متعددة؛ إذ كانت تمثل أقصر الطرق إلى بلاد السودان، كما أنّ السلطات الليبية حرصت على توفير الأمن على امتداد هذه الطُّرق الحيوية، وأسهمت تلك المزايا في زيادة أعداد الرحّالة وتكثيف رحلاتهم، فغدت مناطق ليبيا المختلفة، ولا سيما طرابلس الغرب وفزّان، نقاط انطلاق نحو أعماق القارّة الإفريقية، وبذلك حظيت هذه المناطق بوصف دقيق ومهم في تقارير هؤلاء

[1] – عماد الدين غانم، محرر الصحراء الكبرى، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1979م، ص 241–251.

[2] – عماد الدين غانم، الرحالة الألماني رولفس وليبيا، البحوث التاريخية، طرابلس، 1979م، ص 123.

الرحّالة ومؤلفاتهم، التي زخرت بالمعلومات الغزيرة عن ليبيا ساحلاً وداخلاً[1].

ولعلّ ما يميّز طرابلس الغرب على وجه الخصوص، أنّها شكّلت المركز الطبيعي والأقصر للوصول إلى مناطق ما وراء الصحراء، حيث التقت فيها طرق التجارة القادمة من البحر الأبيض المتوسّط، والمتجهة إلى واحات فزّان ثم إلى بلاد السودان، كما أسهمت الواحات المنتشرة في فزّان في إنعاش النشاط التجاري بينها وبين بلاد السودان، فكانت مركز انطلاق رئيسيًا للقوافل التجارية، ومحطة استراحة وتزوّد بالماء والطعام، وهو ما جعل الرحّالة الأوروبيين يفضّلون ليبيا قاعدة لعملياتهم الاستكشافية في أعماق إفريقيا [2].

المحور الثاني- موقف حكّام طرابلس الغرب من الرحالة والمستكشفين الأوروبيين:

شهدت فترة حكم يوسف باشا القره مانلي (1798–1835م) حراكًا ملحوظًا في نشاطات الرّحالة والمستكشفين الأوروبيين، وقد تميز موقفه تجاههم بالترحاب والاحترام والتعاون، مع الحرص على توفير سبل الراحة والأمان لهم، وتجلّت هذه السياسة في تقديم أشكال متعدّدة من الدعم، تمثّلت في تأمين الحماية المباشرة لهم، وإصدار رسائل توصية موجهة إلى شيوخ وأمراء القبائل الخاضعة لسلطته، فضلاً عن مراسلات أخرى بعث بها

[1] – عماد الدين غانم، تقارير غوتلوب أدولف كراوزة الصحيفة حول الغزو الإيطالي لليبيا، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1993، ص17.

[2] – رجب نصير الأبيض طرابلس الغرب في كتابات الرحالة منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2009، ص 33.

إلى حكّام بلاد ما وراء الصحراء، الذين جمعته بهم علاقات صداقة وتحالفات وروابط قوية، وكان من أوائل الرحالة الذين حظوا بهذا الموقف الإيجابي دومنيغو باديا[1]، الذي أشار بنفسه إلى الحفاوة التي استُقبل بها من يوسف باشا إبان إقامته في طرابلس.

ويورد الرحالة الإيطالي باولو ديلا شيلا[2] شهادة أخرى على هذا النهج، إذ ذكر أنّه في عام 1817م، ما كان ليحقق أهدافه العلمية لولا دعم يوسف باشا له، وإذنه بمرافقة الحملة العسكرية إلى برقة، بصفته طبيبه الخاص، ثم السماح له بزيارة عدد من القرى ومناطق الجبل الأخضر، لما كان بإمكانه تحقيق الأهداف العلمية التي سعى إليها من رحلته إلى ولاية طرابلس الغرب[3]، وفي السياق نفسه، أشار الرحالة الإنجليزي فرنسيس ليون عام 1818م إلى معاملة يوسف باشا الكريمة، وكتب: «إن يوسف باشا القره مانلي قد أقر بأنه سيتولى حماية قافلتنا المتجهة إلى أفريقيا،

[1] – الرحالة دومنجو باديا ليليك 1768–1818 هو رحالة أسباني يعرف بالرحالة الأمير علي بك العباسي تعلم اللغة العربية والعديد من اللغات الأجنبية، قام بعدة رحلات عبر شمال افريقيا وبلاد الشام وشبه الجزيرة العربية؛ خالد محمد الهدار، زيارة الرحالة الأسباني على بك العباسي لطرابلس في أوائل القرن التاسع عشر، مجلة ثرات الشعب، السنة الثالثة والعشرين، العددان الأول والثاني، مسلسل 49–50 طرابلس– منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، 2003م، ص 78.

[2] – باولو ديلا تيلا 1792–1854م: هو رحالة الإيطالي درس الطب والتاريخ ، قام برحلة إلى طرابلس، استعان به يوسف القرمانلي لمرافقة الحملة العسكرية بقيادة ابنه، لإخضاع المنطقة الشرقية سنة 1817م، باولو ديلا شيلا، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة 1817م، ترجمة: الدكتور الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات دار مكتبة الفكر، طرابلس –ليبيا، د. ت، ص 9–11.

[3] – المصدر نفسه، ص 8.

ووعد بتقديم الحماية اللازمة في الأراضي التابعة له»[1]، كما منح يوسف باشا الرحالة الإنجليزي لاينج [2] كتابًا رسميًا يوصي فيه جميع الأمراء وأصدقاء الباشا في دواخل أفريقيا بتقديم المساعدة والدعم له أثناء رحلته[3].

ويتّضح من هذه الشواهد أنّ يوسف باشا القره مانلي كان يفتح أبواب الإيالة أمام الرحالة والمستكشفين الأجانب، ويقدّم لهم التسهيلات المختلفة لعبور أراضيها، ولم تتوقف تنازلاته عند هذا الحد، بل سمح كذلك لمستكشف إنجليزي بنقل العديد من القطع الأثرية التي أثارت اهتمامه في مدينة لبدة الأثرية الرومانية، وقد وصلت فعلًا فرقاطة إنجليزية في نوفمبر 1817م، لنقل هذه المقتنيات، فحملت 44 عمودًا رخاميًا، وحوالي عشرين صندوقًا ممتلئًا بالتحف والتماثيل النادرة[4].

ويُرجّح أنّ هذا الانفتاح الواسع تجاه الأوروبيين، ولاسيما الفرنسيين والبريطانيين، كان انعكاسًا للأزمة المالية التي مرّ بها يوسف باشا، وما ترتب عنها من تزايد اعتماده الاقتصادي على تلك الدول.

---

[1] – جون فرانسيس ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبو لقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1993م، ص 17.

[2] – جوردون لا ينج 1794–1826م، هو رحالة أسكتلندي عسكري تجول في العديد من مستعمرات بريطانيا، وقام برحلة من طرابلس إلى تمبكتو، وقد قتل على يد الطوارق سنة 1826م؛ رحلتان عبر ليبيا، رحلة فريدريك هوريمان من القاهرة إلى مرزق 1797–1798م – رحلة ورسائل الرائد جوردون لينج 1824–1826م، ترجمة: دار الفرجاني، مكتبة دار الفرجاني، طرابلس –ليبيا، 1974م، ص 179–181.

[3] – المصدر نفسه، ص 258

[4] – شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي – ليبيا، 1994م، ص 399.

ومع عودة الحكم العثماني المباشر إلي ولاية طرابلس الغرب، تبدّل الموقف من الرحالة الأوروبيين، تبعًا لتقلبات العلاقات بين الدولة العثمانية والقوى الأوروبية، فقد أشار الرحالة الإنجليزي جيمس ريتشاردسون، الذي وصل إلي طرابلس سنة 1845م، إلى عناية الوالي محمد أمين باشا (1842–1847م) بسلامته، إذ حال دون سفره إلى غدامس بعد ورود أنباء عن هجمات شنّتها بعض القبائل على القوافل، مبرّرًا قراره بشدّة الحرارة وخطورة الطريق [1]، وتكرّر هذا الحرص أيضًا مع الرحالة الألماني جيرالد رولفس[2]، حيث أمّن له مدير واحة مرزق سبل الراحة والحماية، وأوصله إلى وجهته بسلام أثناء زيارته للمنطقة[3].

بيد أنّ النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهد تحوّلًا تدريجيًا في الموقف العثماني، إذ أصبحت السّلطات أكثر ريبةً وحذرًا من نشاطات الرحالة والمستكشفين الأوروبيين، بعد أن تبين لها أن رحلاتهم لم تخلُ من أهداف سياسية واستعمارية خفية، ومن ثمّ، لم تعد تسمح لهم بالتوغل في أعماق البلاد إلا في حالات محدودة واستثنائية، إدراكًا منها لخطر أن

[1] – جيمس رتشارد سون، ترحال في الصحراء، ترجمة الهادي أبولقمة، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي – ليبيا، 1993م، ص 41.

[2] – جيرالد رولفس 1831–1897م، هو رحالة ألماني، كان ملما بالتاريخ والجغرافيا، وقام بالعديد من الرحلات منها رحلته من طرابلس إلى تمبكتو؛ جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة: عماد الدين غانم، مركز الدراسات الأفريقية، سبها، 1988م، ص 27.

[3] – المصدر نفسه، ص 255.

يتحول النشاط الاستكشافي إلى أداة تمهيدية للأطماع الاستعمارية في ولاية طرابلس الغرب [1].

المحور الثالث- الصعوبات التي واجهت الرحالة والمستكشفين الأوروبيين:

واجه الرحالة والمستكشفون الأوروبيون، أثناء عبورهم الأراضي الليبية جملة من الصعوبات والعراقيل، تنوعت في طبيعتها تبعًا لعوامل سياسية واقتصادية ودينية متشابكة، فقد ساهمت المنافسة الحادة بين القوى الأوروبية الكبرى في تعطيل مساعي بعض الرحالة المنتمين لدول متنازعة على بسط النفوذ في القارة الإفريقية، الغنية بمواردها الطبيعية، ويتضح ذلك في الخلاف الذي نشب بين القنصلين البريطاني والفرنسي في ولاية طرابلس الغرب، إذ اتهم القنصل البريطاني نظيره الفرنسي بتعمد إعاقة أحد الرحالة الإنجليز عن المرور إلى أواسط إفريقيا عبر الأراضي الليبية، معتبرًا هذا السلوك مساسًا بالمصالح البريطانية في طرابلس وفي عمق القارة الإفريقية[2].

كما أشار الرحالة فريدريك هورنمان في مذكراته، إلى محاولة فرنسا تقديم رشوة للباشا يوسف القره مانلي، بهدف تأخير البعثة البريطانية، بقيادة الرحالة لاينج عن السفر في القافلة السنوية المتجهة إلى تمبكتو، وهو ما يعكس بوضوح حدة التنافس الاستعماري في تلك المرحلة[3]، وبدوره عبّر

---

[1] – اتبليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، ترجمة: خليفة التليسي، مكتبة الفرجاني، طرابلس- ليبيا، 1971م، ص 93.

[2] – رجب نصير الأبيض، مرجع سابق، ص 150-151؛ شارل فيرو، مصدر سابق، ص 415-419.

[3] – رحلتان عبر ليبيا، مصدر سابق، ص 247-248.

القنصل الفرنسي في طرابلس الغرب عن موقف بلاده، بقوله: «ومنذ قيام الرحالة الألمان والإنجليز برحلاتهم الاستكشافية عبر بلد مجاور للجزائر، أدركت فرنسا حينئذ أن الباعث الحقيقي لهذه الرحلات...»[1]، وهو ما يكشف مدى يقظة الفرنسيين لمراقبة تحركات الرحالة في الصحراء الليبية، لقربها من مستعمراتهم في شمال أفريقيا.

وفي السياق نفسه، أثارت رحلة الرحالة الألماني جيرالد رولفس إلى الكفرة سنة 1878م، قلق السلطات الفرنسية، حتى إن بعض الصحف الفرنسية رأت أنّ هذه الرحلة ليست إلا مقدمة لإرسال حملة عسكرية ألمانية، هدفها احتلال الأراضي الليبية، وقد طلبت الحكومة الفرنسية من قنصلها في طرابلس مراقبة الرحلة، فأشار القنصل في تقاريره إلى أنّ قدوم رولفس إلى طرابلس، تميّز بالتودد للعرب وبنشاط دعائي مناهض للسياسة الفرنسية في الجزائر[2].

ونتيجة لهذا التنافس المحموم بين القوى الاستعمارية الأوروبية على القارة الإفريقية، لقي عدد من الرحالة والمستكشفين حتفهم خلال عبورهم الأراضي الليبية، ومن أبرزهم الرحالة البريطاني لاينج، والألماني هاينريش بارث، والرحالة الهولندية ألكسندرينا، كما لعب العامل الديني دورًا مهمّا في زيادة الصعوبات التي واجهها هؤلاء الرحالة في ولاية طرابلس الغرب، إذ أدى التعصب الديني لدى السكان أحيانًا، إلى اضطرار الرحالة للتخفي والتنكر، وادعاء الإسلام واتخاذ أسماء عربية، مثلما فعل الرحالة الإسباني دومينغو ليبليك، والرحالة الفرنسي رينيه كاييه، وقد أشار الرحالة جيمس هاملتون أثناء رحلته إلى المنطقة الشرقية عام 1853م، إلى أنّ الرحالة

[1] – شارل فيرو، مصدر سابق، ص 505.

[2] – نفسه، ص 505.

هناك يعانون من التعصب الديني من قبل بعض القبائل العربية، وخوفها المعتاد من النصارى[1].

وإلى جانب هذه العقبات السياسية والدينية، ساهمت الأوضاع الداخلية غير المستقرة في ولاية طرابلس الغرب في تعقيد مهمة الرحالة والمستكشفين، إذ كانت النزاعات القبلية والصراعات المحلية تُلقي بظلالها على طرق التجارة ومسالك السفر، وتشير روايات العديد من الرحالة إلي ضعف الأمن وانعدام الاستقرار في الطرق التي سلكوها داخل البلاد.

وفي هذا الصدد، أشار الرحالة الإيطالي باولو ديلا شيلا، خلال رحلته إلى المنطقة الشرقية سنة 1818م، إلى خطورة القبائل القاطنة خارج بنغازي، مبيّنًا أنّ بعض القبائل البدوية الشرسة في ضواحي المدينة، تسلب المسافرين الذين يقعون بين أيديها[2]، كما ذكر الرحالة الألماني جوستاف ناختيجال عام 1869م، أنّ الرحلة إلى السودان عبر ولاية طرابلس تواجه مصاعب جمّة، وأخطار النهب والسلب من قبائل التبو، الذين وصفهم بالغدر والخيانة، وهو ما يؤكد عدم خضوع الدواخل والطرق التجارية، لسيطرة حكّام طرابلس بشكل كامل[3].

[1] – جيمس هاملتون، مصدر سابق، ص 24–25.

[2] – باولو ديلا شيلا، مصدر سابق، ص 15.

[3] – جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة: عبد القادر المحيشي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس–ليبيا، 2007م، ص 218– 219.

المحور الرابع- نماذج من الرحالة الأوروبيين الذين زاروا أو عبروا ولاية طرابلس الغرب:

1 – دومينغو باديا ليبليك (1767–1818م):

يُعدّ دومينغو باديا ليبليك رحالةً إسبانيًا بارزًا، وُلِد في برشلونة عام 1767م، وأظهر منذ نعومة أظافره شغفًا بالغًا بالعلوم الرياضية والطبيعية، الأمر الذي مكّنه من تولّي وظيفة مالية في غرناطة قبل انتقاله إلى قرطبة، حيث أمضى أربعة أعوام في العمل هناك، وخلال هذه الفترة توطدت علاقته برئيس الوزراء الإسباني ، وقدّم له مذكرة توضّح مشروع رحلته إلى أفريقيا، التي حملت أبعادًا سياسية وعلمية واضحة، وقد اشتهر باديا باسمه المستعار «علي بك العباسي»، وكان قبل قدومه إلى طرابلس، قد زار عددًا من الأقطار العربية، وتنكر في زي عربي مدّعيًا الإسلام، لإخفاء شخصيته الحقيقية، وصل إلى طرابلس عام 1805م، وسجّل ملاحظات قيّمة حولها، تناولت موقعها الجغرافي ومناخها ومعالمها العمرانية، كالبيوت، والمساجد، والطرق، والأسواق، إضافة إلى الحياة السياسية والعسكرية والاجتماعية، للإيالة في تلك الفترة [1].

2 – الأخوان بيتشي: فردريك وهنري بيتشي (1821–1822م):

ينتمي الأخوان بيتشي إلى سلاح البحرية البريطانية، وكُلِّفا برحلة علمية ذات أهداف أثرية وجغرافية، لاستكشاف الساحل الليبي الممتد من طرابلس

[1] – خالد محمد الهدار، مرجع سابق، ص 98–99، رجب نصير الأبيض، مرجع سابق، ص 60؛ خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والاجانب، ط3، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1997م، ص 148–150.

إلى درنة، والتعرّف على الآثار القائمة عليه، كما أوليا اهتمامًا خاصًا بوصف الحياة الاجتماعية والصحية والعمرانية لمدينة بنغازي[1].

3 – الطبيب جوناثان كودري (1803–1805م):

وُلد الطبيب الإنجليزي جوناثان كودري عام 1767م، وأكمل دراسته في العلوم الطبية، وعمل طبيبًا في عدة مقاطعات، قبل أن يُكلَّف بالعمل في البحرية الأمريكية مساعدًا طبيًا، وبعد اندلاع الحرب الأمريكية – الطرابلسية، وقع في الأسر لدى يوسف باشا القره مانلي سنة 1803م، ولكن بصفته طبيبًا أُخرج من السجن، وسمح له بحرية التنقّل وزيارة زملائه الأسرى والاعتناء بصحتهم، بل وكلفه الباشا بالعمل في القلعة طبيبًا له ولأسرته، وقد مكّنه ذلك من تسجيل يومياته، بحكم قربه من الباشا واطلاعه على شؤون القلعة[2].

4 – الطبيب أرفين فون باري (1846–1877م):

هو رحالة ألماني وُلد في ميونيخ عام 1846م، عُرف منذ طفولته برغبته في زيارة القارة الأفريقية، فدرس كل ما وقع بين يديه من مؤلفات عنها، أكمل دراسته في العلوم الطبيعية والطب، وحصل على الدكتوراه من جامعة ميونيخ سنة 1869م، وساعده تخصّصه الطبي خلال رحلته على تسهيل التواصل مع الناس، وصل إلى طرابلس عام 1875م، وكانت

[1] – الإخوان بيتشي والساحل الليبي 1821–1822م، ترجمة: عبد الهادي مصطفى ابولقمة، جامعة قاريونس، بنغازي، 1996م، ص 203–204.

[2] – جوناتان كودري، يوميات الطبيب جوناتان كودري في قلعة طرابلس (1803–1805م)، ترجمة: عبد الكريم أبو شويرب، مركز دراسة جهاد الليبيين، طرابلس، 1982م، ص 19–21 .

معرفته باللغة العربية كافية للتعامل مع الأهالي، وقبل انطلاقه إلى الجنوب قام برحلة تجريبية إلى جبل غريان، ليستعد لمتطلبات رحلته الكبرى، وبعد عودته مكث عامًا في طرابلس، مستهدفًا الوصول إلى غات وبلاد الطوارق، وعند وصوله إلى غات، قدّم نفسه باعتباره طبيبًا عثمانيًا، باسم «عبد الباري بن عبد الله»، وسعى لتحقيق هدفه في الوصول إلى بلاد الطوارق، فقام برحلتين: أولاهما قصيرة استغرقت نحو عشرين يومًا إلى مناطق الهقار، والثانية طويلة دامت حوالي عشرة أشهر إلى بلاد «الآيير»، توفي في غات ودُفن فيها سنة 1877م[1].

5 – كريستيان فردناند إيفالد (1803–1875م):

هو مبشّر نصراني من أصل يهودي، أرسلته جمعية لندن التبشيرية، لنشر الدعوة المسيحية بين اليهود في شمال أفريقيا، وصل إلى طرابلس في رحلة بحرية – برية سنة 1835م، وأقام بها شهرين سجّل خلالهما أبرز الأحداث السياسية والاقتصادية في الإيالة آنذاك[2].

6 – غوتلوب أدولف كراوزه (1850–1938م):

يُعدّ كراوزه من أبرز الرحالة الألمان الذين اهتموا بليبيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مكث فترة طويلة في طرابلس، وتنقل بين

[1] – ارفين فون باري، الطبيب الألماني أرفين فون باري 1846–1877م ورحلته إلى غات وبلاد الأبير، ترجمة: عماد الدين غانم، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1995م، ص 16–26.

[2] – رحلة المبشر إيفالد، رحلة المبشر إيفالد من تونس إلى طرابلس 1835م، ترجمة: منير الفندري، المؤسسة الوطنية. للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة، تونس، 1991م، ص 9–11.

مـرزق وغـات، حيـث درس اللغـة العربيـة ولغـة الهوسـا، وانصـرف إلـى كتابـة ودراســة أحــوال الــدواخل الليبيــة، واصــفًا الحيــاة السياســية والاقتصــادية والاجتماعيــة فيهــا، زار ليبيــا ثــلاث مــرات، الأولــى (1868–1869م) ذات طـابع اسـتطلاعي، والثانيـة امتـدت قرابـة خمـس سـنوات (1878–1882م) وأسـفرت عـن أهـم دراسـاته حـول تـاريخ الجنـوب الليبـي، أمـا الثالثـة فاسـتمرت قرابـة سـت سـنوات (1907–1912م)، كـان كـراوزه يطمـح للإقامـة الدائمـة فـي طـرابلس، غيـر أنّ الاسـتعمار الإيطـالي حـال دون ذلـك، واتخـذ موقفًـا معاديًـا منه، بسبب تقاريره الصحفية التي أدانت الغزو والغزاة [1].

الخاتمة

أظهـرت الدراسـة أنّ ولايـة طـرابلس الغـرب، أدّت دورًا اسـتراتيجيًا محوريًـا فـي القـرن التاسـع عشـر، باعتبارهـا أقصـر الطـرق، وأكثرهـا أهميـة للوصـول إلـى إفريقيـا الداخليـة، وقـد حظـي الرحالـة والمستكشـفون الأوروبيـون، بـدعم واضـح مـن حكـام الولايـة فـي بـدايات القـرن، خاصـة فـي عهـد يوسـف باشـا القـره مـانلي، غيـر أنّ الموقـف العثمـاني تبـدّل لاحقًـا، نحـو التشـدد والحـذر مـع تنـامي الأطمـاع الاسـتعمارية الأوروبيـة، كمـا تبـيّن أن الرحالـة واجهـوا جملـة مـن الصـعوبات، شـملت المنافسـة بـين القـوى الأوروبيـة، والمخـاطر الأمنيـة الناتجـة عـن الصـراعات القبليـة، بالإضـافة إلـى التحـديات الدينيـة والاجتماعيـة، ورغـم مـا اتسـمت بـه كتابـاتهم مـن بعـض التحيـزات أو الأهـداف السياسـية، فإنهـا مثلـت مصـادر بالغـة الأهميـة، لتوثيـق الجوانـب السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة والعمرانيـة لولايـة طـرابلس الغـرب، وبـذلك يخلـص البحـث إلـى أنّ دراسـة هـذه الـرحلات، تسـهم فـي فهـم أعمـق لـدور الولايـة فـي شـبكة العلاقـات

[1] – عماد الدين غانم، الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب أدولف كروازة، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 1998م، ص 13–20.

بين شمال إفريقيا وبلاد السودان، كما تكشف عن التداخل بين الاستكشاف والمعرفة من جهة، والاستعمار والمطامع السياسية من جهة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

1-إرفين فون باري، رحلته إلى غات وبلاد الآبير (1846-1877م)، ترجمة: عماد الدين غانم، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1995م.

2-الأخوان بيتشي، الساحل الليبي (1821-1822م)، ترجمة: عبد الهادي مصطفى أبولقمة، بنغازي: جامعة قاريونس، 1996م.

3-باولو ديلا شيلا، أخبار الحملة العسكرية التي خرجت من طرابلس إلى برقة (1817م)، ترجمة: الهادي مصطفى أبولقمة، طرابلس: دار مكتبة الفكر.

4-جوستاف ناختيجال، الصحراء وبلاد السودان، ترجمة: عبد القادر المحيشي، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 2007م.

5-جوناثان كودري، يوميات الطبيب جوناثان كودري في قلعة طرابلس (1803-1805م)، ترجمة: عبد الكريم أبوشويرب، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1982م.

6-جون فرانسيس ليون، مدخل إلى الصحراء، ترجمة: الهادي أبو لقمة، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1993م.

7-جيرالد رولفس، رحلة عبر أفريقيا، ترجمة: عماد الدين غانم، سبها: مركز الدراسات الإفريقية، 1988م.

8-رحلة المبشر إيفالد، رحلته من تونس إلى طرابلس (1835م)، ترجمة: منير الفندري، تونس: المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات - بيت الحكمة، 1991م.

9-رحلتان عبر ليبيا: رحلة فريدريك هورنمان من القاهرة إلى مرزق (1797-1798م) - رحلة ورسائل الرائد جوردون لينج (1824-1826م)، ترجمة: دار الفرجاني، طرابلس: مكتبة دار الفرجاني، 1974م.

ثانياً- المراجع:

1-أتيليو موري، الرحالة والكشف الجغرافي في ليبيا، ترجمة: خليفة التليسي، طرابلس: مكتبة الفرجاني، 1971م.

2-خالد محمد الهدار، "زيارة الرحالة الإسباني علي بك العباسي لطرابلس في أوائل القرن التاسع عشر"، مجلة تراث الشعب، السنة 23، العددان 1-2 (49-50)، طرابلس: منشورات مجلس تنمية الإبداع الثقافي، 2003م.

3-خليفة محمد التليسي، حكاية مدينة طرابلس لدى الرحالة العرب والأجانب، ط3، طرابلس: الدار العربية للكتاب، 1997م.

4-رجب نصير الأبيض، طرابلس الغرب في كتابات الرحالة، طرابلس: منشورات المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، 2009م.

5-شارل فيرو، الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتى الغزو الإيطالي، ترجمة: محمد عبد الكريم الوافي، بنغازي: منشورات جامعة قاريونس، 1994م.

6-عماد الدين غانم، الدواخل الليبية في مجموعة دراسات للرحالة الألماني غوتلوب أدولف كراوزه، طرابلس: مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، 1998م.